الدراسة الثامنة

ابتكارية الكفيف

دراسة نفسية للكفيف والكفيفة المبتكرة

تقـــديم

الذى يحسن صنعا فى هذه الحياة المتغيرة والمتطورة ، والتى يغلب عليها الطابع المادى ، والذى انعكس بدوره على القيم والأخلاق ؛ بحيث أصبح من الضرورى لمن يريد لنفسه تقدما واحتراما فى هذه الحياة من أن يعيد النظر فى أمر قدراته ، ويفتش عن مهاراته الحقيقية ويتأكد بطريقة موضوعية من بعض الكفاءات التى عنده ، والتى كان يظن فيها نبوغا أو تمييزا ، أو كانت تمثل فعلا مهارات لها قيمتها .

واعتمادا على ذلك ، يكون لنا موقف متغاير لما كان يظنه هؤلاء الذين لا يرون إلا كفاءاتهم ومهاراتهم فقط . والكفيف المبتكر والكفيف صاحب القدرات الابتكارية سيدعمان وجهة نظرنا هذه ، عندما توصد هذه الدنيا المتطورة دونهما الأبواب من خلال قدراتهما العالية ، والتى سوف تجعلنا بمشيئة الله ندخل بواسطتهما دنيا الأمل الجديدة .

توطئة :

تهدف التربية إلى تحقيق النمو المتوازن للشخصية الإنسانية ، وتسعى فى سبيل تحقيق هذا الهدف إلى تنمية الوظائف الوجدانية ، جنبا إلى جنب ، مع الوظائف العقلية ؛ خاصة وأن الصلة وثيقة بين هذين النوعين من الوظائف النفسية ، بحيث أن ما يؤثر على الوجدان لابد فى الوقت نفسه من أن يؤثر على التفكير ، فليست التربية الوجدانية عملية نفسية ، مستقلة تمام الاستقلال عن التربية الذهنية ، بل هى جزء لا يتجزأ من تلك العملية السيكولوجية المتكاملة ، التى اصطلح على تسميتها باسم بناء الشخصية والابتكار كعملية عقلية تصاحبها مجموعة من القدرات إذا ما توافرت لدى إنسان واستطاع أن يوظفها بما تحمله من طاقات وأفكار ، من شأنها أن تحقق الجديد ، وتظهر الأصيل من النتاجات ، فإن هذه القدرات الابتكارية .. لابد وأن نهتم بها ونرعاها الرعاية السليمة .

وتخطط جمهورية مصر العربية لبناء الدولة العصرية ، ولإرساء القيم الاجتماعية والثورية وفقا لأحدث الأساليب العلمية بحيث يقوى كل مواطن فى مختلف ميادين العمل والإنتاج وشتى مجالات النشاط المختلفة على أن يتحمل مسئولية ، وأن يسهم إسهاما إيجابيا فى تخطيط وتشكيل وطنه ، ومستقبل بلده .

والكفيف شأنه شأن المبصر لابد وأن يلعب هذا الدور الإيجابى ، وأن يسهم بفضل طاقاته وقدراته المتنوعة فى تشكيل هذا المستقبل ، فلم تعد النظرة الآن إلى الكفيف تلك النظرة المجحفة ، التى تجعل النور والبصر شيئا واحدا ، وأن تلك النظرة الزائفة والضارة لهذه الفئة التى كانت تمثل حاجزا ، يحول دون تقبل هذه الفئة فى المجتمع ، على اعتبار أن النور فى فكر البشرية البدائية والمتحضرة على السواء يرتبط

بمفاهيم الحق والخير والجمال ، ويعبر عن المعرفة والحب والأمل ، بينما أصبح الظلام انتفاء النور ، ورمزا للجهل والخطأ ، بل لقد كان ينظر دائما لوقت الظلام ووقت الليل على أنهما الوقت الملائم للتآمر والحقد والجريمة .

تلك هى معانى النور والظلام من الناحية الانفعالية للإنسان .. ليس بالنسبة إلى الإنسان البدائى فحسب ، وليس بالنسبة إلى الإنسان المتحضر ، وإنما بالنسبة للإنسان على الإطلاق وإن اختلفت الدرجة والنغمة والظلال والفهم .

وجدير بالذكر أن هذا التصور لا يقتصر أمره على المبصرين ، وإنما ينسحب أيضا على المكفوفين ، وما دمنا نجعل من كف البصر صورة مكافئة للظلام .. فإن هذا من شأنه أن يكون حاجزا منيعا يحول دون تقبل هذه الفئة فى أماكنهم الحقة من مجتمع المبصرين ، ومثل هذا التصور إذا كان مقبولا فى عصر كانت فيه الأفكار بعيدة عن الموضوعية ، فإنه الآن لم يعد يمثل وجهة نظر مقبولة خاصة .. وقد أصبح التفكير من الأمور الضرورية فى مواجهة قدرات المكفوفين والنهوض بها ، بحيث تضع لهم المناخ الملائم ، الذى يمكنهم من النبوغ والاستمرار السليم والإسهام الفعال فى تقدم المجتمع وازدهاره بعيدا عن العوائق والقيود ، التى تمنعهم من الحياة المنتجة الفعالة .

ولقد ظهرت بعض الدراسات التى تناولت ضرورة تأهيل الكفيف للعمل والإنتاج المثمر انطلاقا من الهدف الأساسى للتأهيل ؛ ذلك الذى يتحدد فى مدى تنمية الموارد البشرية ، التى لم تأخذ فرصتها فى الإفادة منها ، وتوظيفها على الوجه الأمثل طبقا لأحدث الطرق وأنجح الوسائل .

ولقد أكدت نتائج هذه الدراسة أن عدد الأعمال التى لا يستطيعها المكفوفين هى قليلة إلى أبعد حد ، بالقياس إلى الأعمال التى يستطيعونها ويبرزون فيها .

والدليل على ذلك أن ما أسفرت عنه نتائج هذه الدراسة ، التى تناولت إنتاجية الكفيف من أن[1] توفير المناخ النفسى والاجتماعى الملائم للكفيف داخل إطار العمل من الأمور الضرورية ، إذا أردنا له أن يبلغ شأنا فى عملية الإنتاج ، وبطبيعة الحال .. فإن هذا المطلب الذى أوضحته نتائج البحث من المطالب ، التى لا تقتصر أهميته على مجال المكفوفين ، بل لابد من توافرها بالصورة نفسها للمبصرين ؛ الأمر الذى يجعلنا نؤكد حقيقة مهمة جدا مؤداها : أن الكفيف شأنه فى ذلك شأن المبصر فى مقدوره أن ينتج ويثابر ويجتهد ، إذا تحققت له الظروف النفسية السوية والإطار الاجتماعى السليم .

من هذا المنطلق تتجلى أهمية البحث الحالى ، الذى يتناول ابتكارية الكفيف ، وكيف أن الكفيف والكفيفة لهما القدرات الابتكارية نفسها التى نراها ونلحظها فى إنتاج المبصر الابتكارى ، سواء كان هذا الإنتاج فى شكل فكرة أو رأى ، أو اقتراح ، يعبر من خلاله عن أصالة وجدة ، وطلاقة ومرونة ، وهما فوق كل ذلك لديهما درجة عالية من الحساسية للمشكلات التى يعانى منها المجتمع ، ويحاولان بقدر المستطاع وبقدر الظروف المتاحة أن يقدما كل ما من شأنه أن يسهم فى حل هذه المشكلات ، ويعمل على تطويرها والتخفيف من حدتها .

وقد نجد من يقول إن القدرات الابتكارية هى تلك القدرات التى تريد أن تحسب لكل شىء حسابه ، ومن هنا فإن الكفيف المبتكر قد تعوزه هذه المغامرة فى إخراج الآراء والابتعاد عن المخاطرات بحكم ما يعانيه من بعض القصور .. والرد على هؤلاء أن هذه الدراسة تنطلق من المبدأ ، الذى يرى أنه ليس فى وسع أحد أن يرى كل

(١) ارجع إلى الدراسة التى قام بها المركز النموذجى لرعاية وتوجيه المكفوفين ، تحت إشراف الدكتور سيد صبحى (إنتاجية الكفيف وعلاقتها ببعض العوامل النفسية والاجتماعية – منشورات المركز النموذجى لرعاية وتوجيه المكفوفين ، مايو ١٩٧٨) .

شيء ، أو أن يتنبأ سلفا بكل شيء ، أو أن يقضى تماما على كل خطر ، أو يزيح من أمامه كل عائق .

ومن هنا .. فإن إعطاء الفرصة للكفيف أن يغامر ، وأن يقدم أفكاره ومقترحاته وانطلاقاته بحيث لا تجعلنا نعامله بحساسية ، أو أن نتوقع له الفشل ؛ خاصة عندما نقارن بطريقة متعسفة – بين أفكاره وأفكار المبصرين .

والحق يقال : إن حياة كل فرد منا نهب للصدفة والاتفاق وعرضة للفشل ، دون أن يكون فى وسع أحد منا التكهن سلفا بأن ما يفكر فيه هو عين الصواب ، أو أن ما يقدمه من مقترحات هى أفضل ما يمكن أن يقدم .

وفى ضوء هذا .. فإننا لابد من أن نعطى الفرصة للكفيف من أن يقدم أفكاره ويعلن عن قدراته ، وأن نحقق له المناخ النفسى السليم والظروف الملائمة ؛ بحيث تمكن هذه الطاقات من أن تعبر عن نفسها بشجاعة وذكاء وحب للمخاطرة ، على اعتبار أن اهتمامنا بالكفيف المبتكر والكفيفة المبتكرة هو اهتمام بالإرادة الحرة .. تلك التى تأخذ على عاتقها مواجهة الحاضر ، واثقة من أن المستقبل سوف يكون مجرد امتداد لذلك الحاضر ، وانطلاق إلى عوالم أخرى ، أفضل منه بفضل هذه الأفكار الابتكارية البناءة .

ابتكارية الكفيف إذا حقيقة سوف تثبتها هذه الدراسة ، وهى أمر من الأمور المهمة ، التى لابد من مراعاتها فى المناهج الدراسية المقدمة إليهم ، وفى المعاملات الاجتماعية (إن صح هذا التعبير) التى يعاملون بها ، وفى كل الظروف النفسية التى تحيط بهم ؛ فالقدرات الابتكارية هى التى تجعل هذه الفئة تطلق جناحيها لتحيا أعظم مخاطرة تجىء فيها الطلاقة والأصالة والمرونة .. فإذا كانت هذه القدرات الابتكارية تكمن فى أعماق إرادة المكفوفين أو أن بعضها لا يزال معطلا ، فإن الوقت قد حان

فى ظل عصر الميكنة ، والتطور السريع ، والتكنولوجيا أن تخرج هذه القدرات إلى عالم النور ، فتحدث بفضل هذه الوثبة الحيوية نورا جديدا ووهجا يذيب تلك الأفكار الجامدة ، التى كانت ترى فى قدرات الكفيف غير ما نهدف إليه ونرجوه من هذه القدرات الابتكارية ، لدى الكفيف والكفيفة .

والله نسأل التوفيق ...